

هل مُوافقة السعودية ودول خليجية على انتشار قوات وسفن أمريكية على أراضيها وفي مياهها إعلانٌ وشيكٌ عن قرب الحرب..



أم في إطار ترهيب إيران لجرّها إلى المفاوضات؟ وما هي العبارة التي لا يفهمها ترامب قد تؤدي لهزيمته؟

عبد الباري عطوان

عندما نشر صحيفة "الشرق الأوسط"اليوم خبرًا تؤكد فيه أنّ المملكة العربية السعودية وعدداً من دول مجلس التعاون الخليجي وافقت على طلبٍ من الولايات المتحدة لإعادة انتشار قوات عسكرية بحرية وبحرية في مياه الخليج العربي وعلى الأرض في إطار اتفاقية ثنائية، فإنّ هذا التسريب يحرب أخذه بكل جدية لأنّه لا يمكن أن يكون إلا معمّداً، ومن أعلى الجهات الرسمية في الرياض. الأهم من ذلك أنّ الصحيفة أكدت على أنّ قمة عربية محدودة ستعقد على هامش قمة إسلامية في مدينة مكة المكرمة في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، مما يعني أنّ الحضور من الزعماء العرب الذين من المفترض أن يشاركون في القمة، سيدشنون أوّل اجتماع رسمي، وعلى هذا المستوى، لحلف "الذاتي العربي" السني للتحضير لأيّ حرب يمكن أن تشنّها الولايات المتحدة وإسرائيل ضد إيران.

ربّما يكون من السّابق للأوانه بالنسبة إلينا معرفة الزعماء العرب المذكورين آنفًا الذين سيحضرون القمة المصغّرة، ولكن يمكن التكهّن بأنّ قادة كُلّ من السعودية والإمارات والبحرين والأردن، وربّما الكويت وسلطنة عُمان، سيكونون من بينهم، ونستثنى الرئيس المصري عبد الفتاح

السيسي، لأنّ تقارير إخبارية غير رسمية أكدت أذنه أبلغ الإدارة الأمريكية أثناء زيارته الأخيرة إلى واشنطن بعدم رغبة بلاده الانضمام إلى الحلف المذكور الذي تُ يريد هذه الإدارة تأسيسه لخوض الحرب ضد إيران، ولكنّنا وعلى مُنْوِء تصريحاته الأخيرة التي أدلى بها بعد استقباله الشّيخ محمد بن زايد، ولّيّ عهد أبو ظبي، وأكّد فيها على "أنّ" أمن الخليج من أمن مصر" ولا نستطيع أن يكون قد غير رأيه في هذا المضمّن، وهذا التّغيير لن يكون مُفاجئاً على أيّ حال.

بعد الصّرتين القويّتين اللّتين استهدفتا ناقلات نفطية قُبالة ميناء الفجيرة الإماراتي على خليج عُمان، ومضخات النّفط في محطة رئيسية تين بخط أنابيب شرق غرب السعودية (مترو لاين)، ازداد الموقف غُموضاً في الخليج، فالسيّد علي خامنئي، المُرشد الإيراني الأعلى، والرئيس الأمريكي دونالد ترامب أكّدا أنّهما لا يُريدان الحرب ولا يسعّيان إليها، إذا كان الحال كذلك فمن يُريدها إذ؟

هُنّاك ثلاث جهات تُريد هذه الحرب، الأولى أمريكيّة: وتشتمل مُقور الإداره مثل مايك بومبيو، وزير الخارجية، وجون بولتون، مُستشار الأمن القوميّ، وجاري كوشنر، مُستشار الرئيس وصهره، والثانية العربيّة: تضمّ العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة، والثالثة: إسرائيل. الحرب إذا انفجرت ستكون حتماً إقليميّة، بين إيران وحلفائها في محور المقاومة من ناحية، وأمريكا وحلفائها العرب من ناحيةٍ ثانية، ولكن أطرافها ستكون عالميّة، لأنّ مسرحها مِنطقة تُشكّل شُريانًا حياديّاً رئيسياً للاقتصاد العالمي، لأنّ هذا الاقتصاد يعتمد كُلّيًّا على غازها ونفطها، ومن المرجح أنّ مُعظم حقول الطّاقة ستتعرّض للدمار، جزئياً أو كُلّيًّا، أو الغياب عن زبائنها في أفضل الأحوال، لأنّها ستكون في مرمى الصّواريخ الإيرانية حتماً.

لا نشكّ مطلقاً من أنّ إيران وحلفاءها يعرفون جيداً القدرات العسكريّة الأمريكية الجبار، ويُدركون أيضاً أنّهم سيخوضون حرباً ضدّ الدولة الأعظم حالياً، ولكن ما نشكّ فيه أنّ الرئيس ترامب في المقابل يُسيء تقدير قوّة إيران وحلفائها، والمُرر الكبير الذي يُمكن أن تُلحّقه ومحورها بها، وحملات طائراتها وقواعدها، وقوّاتها البريّة في حال إعادة انتشارها، ناهيك عن صالح حلفائها العرب، ومُدّنهم واقتصادهم وشّعوبهم، التي ستكون جميعاً في مرمى زيران صواريخ وزوارق انتحارية، وربما يُفيد التّذكير بأنّ الرئيس العراقي الراحل صدام حسين أشعل النّار في 800 بئر نفط كويتيّ عشية سحب قواته، أحتج الأمر إلى كُلّ فرق الإطفاء في العالم للسيطرة على زيرانها وفي فترة زمنية امتدت لعام، فكيف سيكون الحال لو اشتَغلت كُلّ آبار نفط وغاز المنطقة دُفعه واحده؟

عقيدة ترامب التي تتمحور حوله استخدام كُلّ وسائل التّهديد بالقوّة لإرهاب الخصم وإجباره على الهرولة إلى مائدة المفاوضات، والتّجاوب مع الشّروط الأمريكية الابتزازية انهارت في ثلاث دول،

وهي فنزويلا وكوريا الشمالية والصين (الحرب التجارية)، والرّابعة في الطريق، أي إيران.

العبارة الممحورة التي تقف خلف هذا الانهيار، ويعجز ترامب عن فهمها هي "الكرامة الوطنية" لأنّها غير موجودة في قاموسه وحلفائه، ولكنّها مُتغلّبة في الإرث الحضاري والتكيوني النفسي والثقافي لكلّ خصومه، سواء في إيران أو معظم الدول الإسلامية والعربية التي تقف في مقابل الخندقين الأمريكي والإسرائيلي.

الحرب مع إيران ستكون مختلفةً عن كُلّ الحروب السابقة لأنّها تمتلك قدرات عسكرية هائلة، واستعدّت لهذه الحرب جيداً، واستفادت مما حدث للعراق وليببيا من غزو وعدوان أمريكيين، وما هو أهّم من ذلك أنّ لها شبكة قوية من الحلفاء العقاديين، وليس المُشترين بالمال، ومثلاً هَزَمت أمريكا في سوريا، وكلفتها وحلفائها أكثر من 150 مليار دولار على الأقل، فإنّها ستُدمي أنفها في أيّ حربٍ قادمةٍ .. [والأيّام بيننا]